التخلص والتحرر من الخوف

الشماس يوسف نورو

الخوف, عدو سريّ, يهاجم كل الناس من جميع الأعمار والأجناس, وفي كل مناحي الحياة. الخوف ماكر ومدمر, يُسمم أفكارنا, ويسرق سلامنا الداخلي, ويسرق كل رغبة لنا في الحياة. يجعلنا متوترين, ومضطربين, وحذرين, ومنزعجين, ومرتبكين, ومترددين, يا لها من مشاعر غير سارة وغير مرغوب بها.

نخاف من الصراع والتغيير, ومن الفشل والاحباط. بعض الناس يخافون من المرض والألم. وأخرون يخافون من أي أذى قد يصيب أعزاء لهم. وبعضهم يخافون من أشخاص أخرين ومن أرائهم. واخرون يخافون من الظلمة والوحدة. وكثيرون يخافون أن يموتوا ويواجهوا المجهول. وهناك مسيحيون حقيقيون يخافون من أن خلاصهم غير مضمون, وان الله لم يغفر لهم خطاياهم. لا يخافون فقط من الموت, بل يخافون أيضاً من الحياة.

يتسسل الخوف الى عقولنا ببطء وسكون لا نكاد نلاحظ بأننا قد أصبحنا ضحايا تأثيره المدمر. بل حتى الخوف البسيط, يكون كنقطة صبغ في كأس ماء, يغيّر كل شئ. فإذا لا يتوقف مجرى مجرى هذا الخوف البسيط, فأنه يتسلل الى بقية أفكارنا ويحرّف مسارها.

الحياة معقدة, والعالم ملئ بالعنف, ولكن علينا ألا نسمح للمشاكل الخارجية أن تدمر سلامنا الداخلي. لذلك علينا أن نواجه الخوف الذي في داخلنا. الخوف يدخل عندما لا تُلبَّى احتياجاتنا الأساسية. إن أرواحنا, التي خلقها الله على صورته ومثاله, تصرخ إليه. وعندما نبتعد عن الله, نتوقعها أن تكون محفوفة بالهلع والعُقد والمخاوف.

يستغل الشيطان مخاوفنا, ويحاول دائماً أن يُعمّق الإحساس بالخوف في نفوسنا ويجعله يبدو حقيقياً ومنطقياً. ويصبح طريقنا أكثرقتامة, وأحمال قلوبنا أثقل وأثقل, حتى نفقد أي أمل بالنجاة. يعمل الشيطان في الظلام, لأنه لا يستطيع أن يعمل في النور لأن ((الله نور وليس فيه ظلمة البتة...1يوحنا 5:1)). يعرف الشيطان ضعفاتنا, ويستغل هذه المعرفة بزرع أفكار ومخاوف في نفوسنا. كما يعمل على تدمير الحقيقة وارباكنا بالباطل. وإذا حافظنا على هذه الأمور مستترة في ظلمة قلوبنا وأفكارنا, فإن ذلك سيساعد الشيطان على مواصلة عمله إحباطنا وتخويفنا. ولكن اذا كشفناه بالنور نستطيع أن نهزمه ونطرد جميع قواته.

تؤدي الخطية الى إحساس طاغٍ بالخوف الناتج عن المعرفة بأن حياة الانسان لا ترضى الله. لذلك كان يوماً مأساوياً عندما تجاوب ادم وحواء مع اقتراح الشيطان, وعصيا أمر الله بأن لا يأكلا من ثمر الجنة التي في وسط الفردوس. وبعصيانهما أخطأ وأختبأ من محضرالله. وفي مساء ذلك اليوم ناداهما الله, فأجاب ادم ((سمعت صوتك في الجنة فخشيت...تكوين 10:3)). وهكذا أصبحت جميع الأجيال بعد ادم في ظلمة الخطية. ان كان هذا الخوف من دينونة الله, يدفع الانسان لكي يتوب عن خطاياه, يكون قوة ايجابية. يقول داود النبي ((رأس الحكمة مخافة الرب...مزمور 10:111)).

ان خوف الله هو بمثابة إحساس صحيح للاحترام اللائق بالله وتوقيره. يساعدنا هذا الاحساس أن ندرك, الى حد ما, عظمة الله, وبره, ودينونته, ومحبته, ورحمته, وحمكته, وكيانه الأزلي. إنه كلي المعرفة, وكلي القدرة, ومتواجد في كل مكان. وندرك ان وجودنا يعتمد كلياً على عمل يديه لكوننا خليقته. وبالتالي نخاف ألا نرضى الله لأننا نعرف ان بر الله يدين كل الخطاة الذين يعيشون في الخطية في جهنم النار. يقول بولس الرسول ((فإنه ان أخطأنا بإختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا. بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين...عبرانيين 10:26-27)). تولد هذه المعرفة خوفاً من الخطية. عندما نعرف الله كصديق شخصي لنا, نتيجة: للتوبة, والغفران, والطاعة, يصبح خوف الله وتوقيره دافعنا لخدمته. وكذلك نحبه ونشكره على عطية الخلاص التي لا يعبَّر عنها. ((لا خوف في المحبة, لأن المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج لأن الخوف له عذاب وأما مَن خاف فلم يتكمَّل في المحبة...1يوحنا 4:18)). لا يعود خوف الله سبباً للرعب في قلوبنا, لكنه يقوّي محبتنا له. بل أن خوف الله يساعدنا على التخلص من جميع أنواع المخاوف الأخرى. فكيف يسمح كثير من الناس لغيوم الخوف أن تسيطر على قلوبهم وتزعج أفكارهم وتعتّم طريق حياتهم؟ إن طريق الله هي سبيل السلام واليقين.

لنأخذ بطرس الرسول مثالاً لنا (لقد دعاه الرب يسوع أن يمشي على الأمواج العاصفة لبحيرة طبرية. سار بطرس بلا خوف الى اللحظة حين أبعد عينيه عن النظر الى يسوع, ابتدأ ينظر الى الأمواج المخيفة, وأخذ يغرق). عندما نطلب أن نتحرر من الخوف, ونضع ثقتنا بالله, سيكلمنا الروح القدس, وتهدأ العواصف من حولنا, ويأخذ الله بيدينا, ونتغلب بنعمته على تأثيرات الخوف. البعض يخاف من المستقبل الغامض المجهول, يستيقظون صباح كل يوم, ويواجهون أسئلة شؤم مثل (ماذا لو؟) بينما تغوص عقولهم في ممرات مظلمة من المخاوف الوهمية. ((لا تهتموا بشئ, بل في كل شئ بالصلاة والدعاء مع الشكر, لتُعلم طلباتكم لدى الله...فيلبي 4:6)). لذلك عندما نضع المستقبل بين يدي الله, نستطيع أن نسلمه عبء المجهول. يخاف الكثيرون من المستقبل, لأنه لا يوجد اتجاه لحياتهم, ولا يعرفون ألى أين يسيرون, ويتوقعون الشر. الله يعرف ماذا سينتظرهم, فإذا وثقوا بقيادته, لا تعود حياتهم مجرد رحلة في المجهول, بل تصبح طريقاً لبيتهم الأبدي.

والخوف من الموت هو امر شائع جداً بين الناس, ولحظة الوداع هي من أكثر المهمات المحزنة. لذلك علينا أن نُعالج السؤال القديم ((إن مات رجل أفيحيا؟...أيوب 14:14)) لقد جاء الرب يسوع ليحررنا من الخوف من الموت. لذلك مات وقام, ووعدنا قائلاً ((إني أنا حيّ فأنتم ستحيون...يوحنا 14:19)). ان كنا نؤمن بالرب يسوع, فلا يبقى بعد الموت باباً الى العدم, بل طريقاً ساطعاً الى حياة جديدة ((لا تضطرب قلوبكم...في بيت أبي منازل كثيرة...أنا أمضي لأعد لكم مكاناً...يوحنا 14:1-2)). سيكون مكاناً معداً لأناس استعدوا له.

عزيزي...
هل أنت مستعد؟هل تبت عن حياة الخطية؟ فالتوبة تؤدي الى الندم على حياة الخطية في الماضي, والى الابتعاد عن حياة الماضي.
ارفع صلاتك للرب وسلمه كل أثقالك وقلقك ومخاوفك. يقول الرب يسوع ((تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم...متى 28:11)) يا لها من دعوة! تعال الى الرب يسوع واثقاً, ومصلياً, وراجياً وستحصل على السلام وراحة البال. تعال واختبر مباهج حياة الراحة.
يدعوك الله أن تثق بالرب يسوع لكي تكون حراً وتتحرر من الخوف. فتعال إليه+++

الشماس يوسف نورو